الشاعر كاظم الحجاج

شعر التفعيلة لم يكن بحاجة إلى رواد وقصيدة النثر تدرج لوني آخر

كاظم الحجاج.. شاعر من جيل السبعينيات، تخرج من كلية الشريعة عام 1967 صدرت مجموعته الشعرية الأولى (أخيراً تحدث شهريار) في بغداد عام 1973.. أما مجموعته الشعرية الثانية (ايقاعات بصرية) فقد صدرت عام 1987 في بغداد. وبعد سفره إلى عمان صدرت له هناك مجموعة شعرية حملت عنوان (غزالة الصبا). في عام 1999 وفي حقل الدراسات، صدرت له في بيروت دراسة حملت عنوان (المرأة والجنس بين الأساطير والأديان)، شارك في الكثير من المهرجانات المحلية والعربية وحصل مؤخراً على درع مهرجان الجواهري الأول.. عن مشغله الشعري وعن بعض التحولات الشعرية المعاصرة كان لنا معه هذا اللقاء:

أجرى اللقاء محمد الحمراني

*القصيدة التي تعتمد على الفارقة الساخرة والتي تشبه في أحيان كثيرة رسوم الكاريكاتير هي بعض مما تشتغل عليه.. هل تعتقد بأن هذه اليات تؤسس لشغل شخصي؟

- الجواب عن هذا السؤال يحيل إلى مقولة "الأسلوب هو الرجل" وهي مقولة علمية ودقيقة إن اعتمدت للذهب النفسي - الاجتماعي. فالكاتب والشاعر بشكل خاص هو حاضنة نتاجه.. وهو الأب والأم لوليده. ولابد لهذه الوليد أن تحمل بعض أو كل ملامحه.. شخصية الجاحظ هي التي فرخت سخريته الكتابية. وبيئة الجاحظ هي الحاضنة السابقة على الولادة - أعني ولادة نصوصه - وهي - البيئة - التي كانت ساخرة كذلك. هي الحاضنة اللاحقة للنص الجاحظي.. فسخرية الجاحظ موجودة (في) تلك البيئة الساخرة. وموجهة (إلى) هذه البيئة.

والسخرية في النص ليست وسيلة توصيل فقط، بل هي وسيلة دفاع وهجوم في وقت واحد. وهي عامل قوي في إبقاء النص وتخليده في الوجدان الجمعي، وستلاحظ أن النص العلمي مثلاً معرض للدحض والإلغاء، لأنه نص مقتصر على توصيل الحقائق، والحقائق معرضة للتبديل والتغيير.. ولهذا فالنص العلمي - الكتوب - سيسقط مع سقوط حقائقه، ولن تشفع له اللغة في البقاء.. أما لغة النص الأدبي الإبداعي فهي التي تبقيه. أسلوب النص الأدبي هو (حقيقته) التي لن تسقطها نصوص لاحقة، أعني أن الذي خلد الجاحظ ليست الحقائق التي في كتبه، بل هو أسلوب توصيل هذه الحقائق.. فالأسلوب وحده يمكن أن يكون آلية الشغل الشخصي كما سميته.

هذا إذا نحن عزلنا (السخرية) عن مفهوم

*أنت من ضمن الشعراء الذين جاهدوا في عدم الدخول إلى اللوحة الشعرية (قصيدة النثر).. كيف تبرر ذلك؟

- أنا من الشعراء الذين تحولوا سريعاً من العمود الشعري - وبشكل نهائي - إلى شعر التفعيلة. لأن هذا التحول كان متدرجاً بشكل عقلاني.. ولم يكن قفزة رعناء غير متدرجة. فشعر التفعيلة متصل بالعمود الشعري بأكثر من خيط. بل هما متداخلان ولم يكن الانتقال من ذلك إلى هذا في حاجة إلى حركة انفصالية ولا إلى.. انقلاب يقوم به (رجال التفعيلة) بالاستيلاء على (إذاعة) العمود. وبث البيان الأول منها.!

بل شعر التفعيلة لم يكن في حاجة إلى (رواد) ولم يكن في حاجة إلى تنظير، لأن التحول كان ضمن حتميات الواقع الشعري العربي.. بل إن الشعراء الذين انتقلوا من العمود إلى التفعيلة لم يكونوا في حاجة إلى العبور إلى (ضفة أخرى).. لأنه لم تكن هناك ضفة أخرى بين اللونين. بل لم يكن هناك لونان أصلاً. بل هو تدرج لوني.. ومن هنا أيضا يمكن تجنيس قصيدة النثر على أنها تدرج لوني آخر عن شعر التفعيلة وليس (صفة أخرى) كذلك.. وليس هو ثورة أو انقلاباً على سابقه.

كما إنه ليس جنساً جديداً منقطعاً.. وليس نهائياً كذلك. وأنا أرى أن قصيدة النثر شرعي لشعراء التفعيلة، ينتقلون من هذا إلى ذاك متى ضاق بهم الوعاء.

بل هو الشرعية الوحيدة. أعني، أن انتقال شعراء التفعيلة إلى قصيدة النثر - لو حدث - فهو الذي سيرسخ هذه القصيدة الأخيرة. أفضل من أولئك الذين يبتدئون حياتهم الشعرية بقصيدة النثر من دون تأسيس سابق.

*تعتمد في بعض قصائدك بناء أيشبه بناء السيناريو.. هل يضيف ذلك حرية اكثر.. أو انه مجرد تغريب؟ كما انك تعتمد آليات جدية أثناء القاء قصائدك. هل تطمح الى تمثيل قصائدك؟

- السينما والمسرح وقبلها الموسيقى هي فنون مجاورة للشعر. بل متداخلة معه وليس من قبيل التطفل ان يستعير احد هذه الفنون من الآخر، وليس الامر تغريبياً.

انها وسائل توصيل سمعية - بصرية بل اللغة الادبية نفسها في حاجة الى تلوين وتطويع وبلاغة تصويرية تماما كما يفعل خطباء المنابر وكما يفعل الممثلون من اجل متلق له عينان وأذنان.. وحتى الشعر المطبوع في الصحف او الدواوين وقد يلجأ الشاعر فيه الى التلاعب بطباعة الحرف. والتلاعب بالفراغات الكتابية الكتابة الاعتيادية.

وهذه ليست لعبة تقنية عابرة، بل هي من خصائص العمل الابداعي. وانا ارى ان التلوين الادبي والفني هو نتاج احتزامنا للمتلقي الميال بطبعه الى درجات التلقي القصوى، وصولاً الى تعدد احتمالات القراءة.

السؤال هو ان تكون القصيدة جيدة لتصلح للإلقاء وتصلح للقراءة البصرية في وقت واحد. اما القصيدة التي لا تصلح الا لطريقة واحدة من طرائق التوصيل ففيها خلل!..

*من وجهة نظرك هل بامكان الشعر.. ان يؤثر في العالم في الازمان الحيثة وكيف ترد على المقولات التي تروج لموت الشعر؟

- لم يمت الشعر ولم يضعف. لكن براءة الانسان هي التي ماتت او ضعفت.. لقد فقد الانسان الغابات.

قطع اشجارها وشرّد كائناتها.. لم يترك الانسان جزيرة مجهولة الا استوطنها او استعمرها.

بل هو لجأ الى اساطير الشعوب وراح يعقدها ويفككها ويعيد كتابتها بلغة العصر.

لم نعد نقتنع الآن بوجود الالزام في جزيرة والعمالقة في جزيرة اخرى.

ولا وجود لسندريللا.. بل لا وجود - في عهد العهر

لقد مات الخيال وماتت البراءة. ومات الحب وماتت الاساطير ومعها مات الانسان الذي كان يصدق كل ما يسمعه. وكل ما يقرأه..

*لديك الكثير من مخطوطة شعرية لم تطبع بسبب الظروف التي نمر فيها جميعا.. هل ترى ان الشعر اذا ما تأخر نشره يفقد انتماءه الى مرحلة معينة او افكار فنية كانت تتبناها تلك المرحلة؟

- لا ينكر ان القصيدة - وليس الشعر ككل - مرتبطة بظرفية ما. ربما هي ظرفية تاريخية بعيدة او قريبة.

لعلها تشبه ظرفية الرغيف.. تأكله ساخناً افضل من ان يبرد او يتيبس.. الافضل ان تعلن في وقتها. هذا ما يخص القصيدة الواحدة.

لكن الشعر ككل او مجموعة القصائد فهي تبقى محببة شأن الصور الفوتوغرافية في البوم العائلة.!

ننانظر اليها بحنان ومحبة كلما ابتعد بنا الزمن، وقلبنا اليوم صورنا القديمة. وكذلك مجاميعنا الشعرية الاولى انها مثل صورنا القديمة. ربما كان شعر رأسنا فيها غزير آنذاك. ونحن الآن في حالة.. صلع قبيح!

السجون... والنهر

(لماذا تقام السجون على ضفة النهر في بلد يشتهي الماء؟)

هذه الجملة الشاعرية للشاعر محمود درويش، طالما راودتني في سني الاغتراب الطويلة تلك، عندما كانت القبضة الحديدية للنظام القبيح تمتد الى كل شيء، تحجزنا عن الأشياء والعالم بظلها الممض، وتلون كل شيء باغتراب كريه.

بيد أن هذا الاغتراب كان يأخذ منحى في لحظات معينة، عندما كانت التناقضات تحتد والمقابلات تحتدم، كتلك اللحظات الخاصة، عندما تقف لمحة الحياة بأبهى صورها النهر، جنباً الى جنب مع قبح الحياة بأعتى صورها السجون.

هذه التأملات وغيرها كثير أما كانت تقفز إلى مشاعري عندما كنت أعبر جسر الإمام الأعظم مثلاً، هذا الجسر الفاتن، بامتداد النهر الفسيح على جانبيه، وأصوات القافزين إلى النهر من ضفافه، بالبناء الجميل لمرقد الإمام الأعظم، وبالنكهة المحببة للكاظمية، شوارعها وبساتينها ومحالها ومرقد إمامها الجليل.. وهنا، هنا بالضبط، على رأس هذا الجسر العبق بالعطر والحياة، كانت أبنية دائرة الاستخبارات القبيحة تمتد كورم سرطاني على أجمل بقعة في الوجه.

كانت تلك الشاعر تتكرر أيضاً في بقعة تحمل هذا التناقض الأليم.. وكانت أجراس الاغتراب العميقة تهتز كلما نظرت إلى وزارة الدفاع (لو يطير الحمام في وزارة الدفاع)، أو انظر إلى الأسلاك الشائكة ووجوه الشرطة الكامدة على شارع أبي نؤاس، في حين يتسكع الشحاذون والشردون والبغايا في الحدائق الحزينة الجاورة.. وكان معسكر الديوانية - حيث أمضيت عدة سنين من خدمتي العسكرية - جزءاً من هذا التناقض الموجع نفسه: الجنود بخطوتهم الضائعة.. سجن العسكر.. أسلاكه الشائكة.. الوجوه الشاحبة فيه، جنباً إلى جنب، مع انسراب النهر الصامت المديد، بسحره الغريب وأسراره العميقة..

ليس مصادفة أن يثير هذا التناقض كل هذه التداعيات، فالنهر، هذا الرمز العظيم للحياة، رمز الخصب الكبير.. حيث قامت الحضارات وانتشرت على ضفتيه، بكل حركة تواجه الأبدية وبكل الحياة التي يمنحها سراً.. وجهاً لوجه مع جدران صماء، تحتجز وراءها كل الطاقات الهائلة لشباب بعنفوان الحياة، محبوسة في عنق زجاجة كامد بلونها العسكري... وكم كنت أحلم أن أصيخ السمع إلى أصوات عوائل وهي تفترش الضفاف، إلى صيحات أطفال عابثين في أماسي العراق، حيث تمتزج الحدقات التوشبة بالأغصان المتناثرة، لينشأ عن ذلك كله إكسير عجيب، من امتزاج الطبيعة مع الإنسان وقدرتها التي لا تحد على الخلق والنماء.

قبل أيام، وبعد أعوام من الانقطاع - أو القطيعة -، ذهبت إلى مدينة الديوانية مرة أخرى. الناس كما هم.. هم الناس.. أناس كل زمان ومكان.. العابرون الأبديون في سعيهم لحتفهم والدائب أبداً.. وفي تشبثهم القوي الأعمى بالحياة. في طريقي داخل السوق، لمحت طفلة في أحد محال بيع الأقمشة تتقافز حدقتاها بانتباه شديد بين أكداس الألوان المصفة في الداخل، وعندما خرجت إلى الفضاء الرحب المفتوح وسط المدينة، كانت هناك حركة نشيطة للسابلة في كل الاتجاهات، في حين انتصب إلى الأمام قليلاً، وعلى مقربة من النهر أيضاً، مبنى لأحد الأحزاب السياسية - والتي كانت ممنوعة بالطبع قبلاً - قادتني خطواتي، دون إرادة مني، إلى الطريق للعسكر القديم.. وما إن وصلت إلى الباب حتى تسمرت متردداً. كان فيض الانفعالات والذكريات المختلطة قد بدأ يتدافع في داخلي بشكل غريب.

لم تكن هناك الصورة الجدارية للطاغية على الباب (والتي أذكر أن رساماً سجيناً كان يرسمها تحت إشراف ومراقبة الحرس) والأبواب بدت مخلوعة أو مشرعة.. خطوات إلى الداخل تدفعني قوة غريبة باتجاه وحدتي العسكرية الحاذية للنهر، كانت كل خطوة تثير موجة من المشاعر والانفعالات المختلفة، سنين العذاب الطويلة.. عيون الجنود المغربة.. ذكريات يوم الإعدام لمجموعة كبيرة من (الهاربين)، واختفاء بعض سائقي الشاحنات التابعة للمعسكر خشية تكليفهم بنقل الجثث.. وجوه الضباط القاسية التي كانت تملأ المكان.

كان عدد كبير من الأبنية قد تخرب أو تهدم، حيث قامت عوائل بتشييد بعض الأماكن لسكنها أو استغلال البعض للأماكن الآخر. توقفت في منتصف الطريق، ولم أستطع الاستمرار أكثر، لسبب لم أستطع تحديد طبيعته بالضبط، وربما لأني خشيت من التقدم أكثر في منطقة بدت أكثر خلواً، لمواجهة لحظة من ذكريات حادة مؤلمة وقفلت راجعاً.

في طريق العودة إلى بغداد اكتشفت إنه - وعلى طول رحلة الذهاب والإياب تلك - لم ألمح ذلك الطفل، ظلت تلك القبضة الحديدية التي ظلت مسمرة في الهواء عمراً كاملاً، ولم تقفز إلى ذهني تلك الجملة الأثيرة الصامتة (لماذا تقام السجون...؟).

كانت هناك حدقتا الطفلة الصغيرة الباحثتان في محل الأقمشة.. صورة أولئك الناس العابرين أبداً في كل الاتجاهات على مرأى من النهر.. وصورة يد حديدية وجدت طريقها أخيراً إلى (خردة) التاريخ، محكومة بصدأ التاريخ ولعنته.

نصير قليح

شيء من نار

حسين علي عبد

الاولاد رحلوا خلف وهم قسري ثم عادوا الى مستقر تحت الحجر، وتعودت أنا أن احيا محيلا حزن الفراق الى اغنية، تناوبتها وزوجتي. البيت الذي شيده جدي ورثته عن ابي. تجعدت وتآكلت حيطانه ونخرت الأرضة نوافذه وأبوابه وصار بالوسع التنبؤ بسقوطه قبل سنوات أرخته برحيل اكبر اولادي، وكان التنبؤ مختبئا بذاكرتي يشغل حيزا بحجم الأمل.

قفلت دكاني ظهر هذا اليوم والرجل الذي سلمني الورقة مضى ليوزع البلاغات التي هي بعدد الآخرين المرتبطين بي صلة قربى فحدرت إلينا من مكان لم أولد فيه. الذين قالوا من وقع المصيبة جاءوا الي وأوراقهم في يدهم مستفهمين عما يحدث.. سخرت من ذاتي في تلك اللحظة إذ رأيت نفسي اشبه بقتد عجوز اسقط في يده. مررت على الوجوه لحيرى بنظرة محايدة ثم تركتهم عائدا الى البيت.

عالم حميمي يبعث على ديمومة الأشياء... عالم صنعته ربة بيت، خلقته آلهة بيت، أبواب لحجرات الكثيرة تحيط به كأضلاع مربع فيه الزمن يختصر الى أشياء بسيطة ولكنها قدر على الوجود.. فكر احيانا، ان الكائنات التي دجنت عبر قرون قد هيأت لتعيش في هذه الباحة. بدأت في الأيام الاخيرة أحاول التقرب من سر هذه الجنة الصغيرة التي دفعت بأناس كثيرين للمجئ إليها فضولا، او حبا باشياء اخرى كنت اخاف عليها من الزوال بعد ان مرضت زوجتي اثر غياب آخر طفل ممن كانوا يأتون إلينا. كان الناس يتذرعون بكثرة الشاغل منسحبين عن حضورهم الذي امتد زمنا طويلا، كنت افهم سر تخلفهم، ففيما مضى كان جدي رجل دين يجتمع من حوله اهل لحي جميعا للمشورة في أمور دينهم ودنياهم وتقربا من نفوذه في نفوسهم.. مستعينا بذلك على بعضهم بالبعض الآخر، وإذا مات جدي في ظروف لا اتذكرها، خيل لهم ان يظلوا على ولائهم الذي تمثلوه في أبي، ولكن شيئا غامضا كان يحدث في نفس أبي إذ سمعه احيانا يهذر في الليل بكلام لا أعرف معناه فأحس بشيء خطير يكاد يحدث أراه مرتسما بتعبير لخوف على وجه امي تطالعان السقف باتساع يوحي بأنها تنظر لدى

ليال بلا قمر مقتربا من سريري ومقبلا إياي شوقا يضيء في فرحا يثلج قلبي ويهدهدني لأنام على حلم أن اكبر واصير مثله.. رجل علم ومعرفة، وإذا بي اصحو فزعا ذات ليلة لأجده جاثيا عند عتبة الباب يلفظ انفاسه الاخيرة، ومن خلل غطيط الاحتضار الاخير سمعته يقول لأمي وهو يشير إليّ (فعلي شيئا من اجله) وأنكر ان اول ما فعلته أمي انها احرقت كتبه ثم بقيت تبكي بقربي حتى كبرت على دموعها، وعلى فراق الناس الذين انسحبوا وتركوني في شك من ان يكون الذي مضى حلما ليس اكثر. وها هم قد فعلوها معي ايضا، بدا الامر حين كان الصغار يأتون متطلعين من فرجة الباب الى جنة زوجتي.. تجتذبهم ألوان الطيور واصواتها، ثم ان زوجتي عرفت بعد ذلك كيف تصاحبهم مشعرة اياهم كأنهم ندالها مستعينة بقصص رأيتها تتدفق بإجادة من فمها كأفضل ما يكون القص، فكان ان صارت زوجتي مثار حديث في بيوت لجيران.. دفعهم بعد ذلك فضولهم الى التحقق من صدق ما يتناقله الصغار فكان ان بدأن يترددن الى الدار، وإذ رأين غضاضة تواجدي معهن في الدار، هداهن التفكير الى حل تمثل في اصطحاب ازواجهن في الزيارات الاخرى فعاد بذلك الى البيت سابق عهد حسبته لن يعود، رأيت زوجتي تتألق في تلك الجلسات وتبعث فيها سعادة تجعلها تحلوف على وسادة من حلم.

هي تعرف عن ابي كل الاشياء التي تعلمتها مني، فكنت أراه في قصصها بطلا يجوس في حقب الزمان على فرس من امل مضيء، وفي الليالي التي قضيها وحيدا في باحة الدار استذكر وجود السامعين فيؤرقني ما ينطبع في ذاكرتي منها غباء يكاد يشملهم جميعا.. ولو لا الصغار الذين يلتمعون ذكاء عند السماع، لكنت طردت كل الكبار.

دخلت الى غرفة النوم فوجدت زوجتي ممددة فوق السرير، مريضة كما تركتها في الصباح، وعيناها منها، سألتني.. دون ان تحول نظرتها العطشى الى شيء لم افهمه.

- مالذي اعادك مبكرا هذا اليوم؟

وضعت ورقة البلاغ في يدها دون قول.. همست بعد ان قرأتها.

- لقد اتت متأخرة.. متأخرة جدا..

نظرت إليها.. أهلني الفزع إذ فهمت ما ترمي اليه، قصرخت بها

- لا.. لا تخرجي.. انت اقوى من أن..

واخرسني اني رأيتها تلفظ انفاسها بهدوء، مبقية عيناها على قاعهما الذي بدا في تلك اللحظة مرآة غير قابل للتصديق، ولكن ما حيرني فيما بعد اني وجدت نفسي مسلما الى نوبة من الضحك، فقدني توازني، وسقطت ارضا فقد خيل لي اني تسلخ في تلك اللحظة عن حاضري فأبعث في زمن آخر لأمثل فيه دور أمؤثر أي مسرحية تتحدث عن مآسي العشاق في عصر انحطاط وتخلف لا يتناسب ومجد الحب الذي يصنعون.

لم يعد الآن في البيت حي سواي.

بدأ الظلام يزحف الى الداخل توجهت الى الفانوس الذي كانت زوجتي تحمله حين تتفقد الدار لآخر مرة قبل ان تنام.

شعلته ومضيت الى الباب الخارجي فأقفلته بإحكام من الداخل وتوجهت عائدا في طريقي الى غرفة النوم.. مررت بفناء الضحى آخر ليلة مع جثمان زوجتي.. سمعت جلبة في الخارج، واصوات أناس يخرجون من بيوتهم فيعلو صراخهم، ميزت من بين الاصوات صوت جاري اذ كان يصرخ كأنه يعلنها للجميع..

- لقد جاء والطرد نا ولم يمهلونا حتى مجيء الصباح..

ارتبكت وسقط الفانوس ارضا وانطلق النفط واذا بالنار تمتد معه لتمسك بالبساط.. قفزت في خفة لا تتناسب مع ما مر بي من تعب السنين متجها الى دلو الماء واذا بي اقف مترددا في منتصف الطريق بين الماء والنار.. وسمعت طرقات تتوالى على الباب.

بيدق الملك
سيرة ذاتية

فؤاد مطلب

-1-
خائضاً بدم الشطرنج
وأوردتي ثائره
خائضاً..
وعلى ذنوب الجيوش
الغفيرة
والصولة الكافرة
فلماذا يدي
كلما سنحت فرصة
ظافرة
تتخاذل خلف لهاث
الملوك
وتبتكر النقلة
الخاسرة؟

-2-
بيدق انت، والبندقية
صورتك العدنية
هكذا لقنوني دهاقنة
الرأي
فاستعمروا نكهتي...
زيفوا سحنتي...
حرفوا احرفي الأبجدية
بيدق أنت...
واحترقت وردة
كنت أحملها في دمي
وانطفأت
كما قمر باسل
حاصرته الغيوم
الدعيه
بيدق انت...
واشتعلت رغبة
للترشق بالموت في رئتي
واستدرت
واطلقت صرختي
للجهرية:-
إنني للرمال الرخية
منتسب
والصخور حضارتي
البربرية

-3-
دائماً يركض البيدق
المستكين
وتوشك انفاسه
تفضحه
دائماً...
لايبالي...
-إذا خمدت ناره-
أينما خنجر غادر ذبحه
ولهذا إذن
تتهاوى البيادق قبل
انتصاف الطريق
وتجتاحها هدنة
مفرحه!!

-4-
الرصاصات يصلهن من
قلق
والبيادق من خوفها
منهكه
والأوامر تقضي اغتيال
البلاد
والبلاد ملوثة مضحكه
والنارة فلت جديلتها
للغزاة
والأيادي بلا حولها
ممسكه
يالها لوحة...
لوحة مربكه